نعيم العلماء

اذا عجب العرب لان العلم عندهم مقرون بالافلاس عجب الافرنج لنعيم العلماء عندهم وشدة ترفهم وتأنقهم وزخرفة منازلهم وهو مما ينافي طباع ذوي العلم والمشتغلين به لان من حق العلم اذا لم يشغل صاحبه عن التكسب في تلك البلاد الحافلة بالعلماء وعارفي اقدارهم فمن حقه ان يشغلهم عن الزخرف وكثرة التأنق والنعيم في المعيشة ولكن يظهر ان فرط غنى العلماء هناك وكثرة ما يرد اليهم من الاموال يضطرهم الى كثرة الانفاق واختراع اسباب النعيم والمجد فقد ذكروا عن المسيو بيير لوتي مؤلف الروايات المشهور انه قداعد في منزله من دلائل المجد والزخرف ما لا يكون في قصور الملوك ومتاحف البلاد وكان جل ذلك من آثار الشرق النفيسة وطرائفه النادرة حتى يسمونه الان بالملك الشرقي لكثرة ما عنده من تحف الشرق القديمة التي انفق على تحصيلها وجمعها ما لا يحصى من الاموال ويتلوه في ذلك المسيو اميل زولا الكاتب الشهير فانه ينفق اكثر امواله الوافرة وعقله الكبير في تخير التحف القديمة يجمعها من آفاق الارض ليفاخر بها كما يفاخر برواياته ومثلهما في ذلك المسيو فيكتوريان ساردو الشاعر الروائي المشهور فانه يتنعم ويلهو بما يلهو به الملوك في قصورهم من نادر الاثار وفاخر الاثاث مما لا يمكن ان يجتمع بعضه عندنا في منزل فيه كتاب. وفي فرنسا وسواها كثيرون من رجال العلم والفضل يتأنقون في معيشتهم تأنقاً غريباً حتى يخالهم من يجهلهم انهم من ذوي العقارات الكثيرة والمتاجر الواسعة مع ان كل راس مالهم من التجارة وكل ما لديهم من

آلات التكسب ذلك القلم الهزيل ولعل كثيرين من القراء يذكرون انه لما جن جاي موباسان مصنف الروايات الفرنسوي حمل على يخته للتنزه في نواحي البحر المتوسط كما انهم يذكرون من عهد قريب ان المستر كبلنغ الكاتب الانكليزي الذي مرض قد ذكر البرق عنه انه مريض في قصره بنيويورك فاذا كان لهذا يخت كالمحروسة عندنا ولذاك قصر كقصر عابدين فقد امتنع العجب من وصول الكتاب هناك الى ارفع درجات الثروة وعذروا اذا خالفوا طبائع العلماء وتنعموا في دنياهم لان كثرة ما بين ايديهم من الاموال تدفعهم الى التفنن في اسباب النعيم والحيلة على السعادة الوهمية بكل سبيل

ولا يعجب القراء لكثرة غنى العلماء في اوربا وكثرة ترفهم وتنعمهم فلقد كنا مثلهم من قبل ايام كان يحكم بلادنا من يدرون باقدار الناس ويجازونهم على نتائج قرائحهم فان المتنبي الشاعر كان يأخذ ثلاثة آلاف دينار كل عام راتباً مقرراً من سيف الدولة جزاء مدائحه فيه ذلك عدا الاقطاعات والعطايا المتفرقة مما يبلغ جميعه نحو الخمسة آلاف دينار في السنة وهو قدر لا يناله الان ارفع وزير في بلادنا الا اننا لا ندري عن المتنبي اذا كان تنعم تنعم زملائه علماء الافرنج او كان زاهداً في الدنيا على خطة العلماء ولكنه كان على الارجح يسكن قصراً حسناً وعنده الخدم والاظئار ولم يكن المتنبي وحده منفرداً بالغنى في ذلك العهد فقد كان اكثر الشعراء والعلماء مثله فان الهمذاني الكاتب الشهير كان غنياً ومثله الخوارزمي وكذلك البحتري والحريري كانا غنيين وغيرهم كثيرون نالوا من اقلامهم ثروة طائلة وغنى كبيراً وتنعموا في دنياهم بملاذ الملوك وفكاهاتهم حتى كان كثيرون منهم ينزلون دور الخلفاء ويعيشون عيشتهم. والبحتري اذا كان يسكر مع المتوكل الخليفة ووزيره الفتح بن خاقان

فلا شك انه كان في سائر معيشته حاصلاً على اتم السعادة الملوكية ولكننا مهما روينا عن غنى العلماء عند العرب فلا نذكر عن نعيمهم ما يذكر عن علماء الافرنج الذين تقدمونا في الثروة بمراحل وذلك لان موارد شعراء العرب وعلمائهم كانت محدودة اي ان ارتزاقهم او ثروتهم كانت تحصل من الملوك والوجهاء العارفين باقدارهم على خلاف الافرنج الذين يكتسبون من الوف وملايين ما ينشرون من نسخ اقوالهم على ظهور الجرائد ويودعونه بطون الكتب ونظن انه لو كان عند العرب المتقدمين مطابع وجرائد لكان علماؤهم على اتم الثروة والغنى لانه اذا كان المتنبي لم يكن ينظم قصيدة في يوم حتى تنتشر في تاليه انتشار الريح في جميع آفاق العرب منقولة اليهم باقلام النساخ واصوات المغنين والحداة فكم تكون حالها لو طبعت الوفاً وباعها بالوف

اما عرب اليوم فقد صاروا على العكس تماماً فان المطابع والجرائد منتشرة بينهم كل الانتشار ولكن قلّ بينهم من عنده شيء يستحق النشر واذا كان ثمت شيء يستحق ان ينشر ويذاع فلا يقتنى ولا يباع ولقد ظلمتنا الدنيا فانها اعطتنا الجرائد والمطابع وسهلت لنا كل اسباب العلم ولكنها اخذت منا العلم نفسه فياليت جودها كان بخلاً

حالات الاستشعار

لقد يكفي ان يلقى الانسان منا صاحبه ويقول له على سبيل الممازحة والمداعبة ما بالك اصفر الوجه ممتقع اللون ويكون هو مورد الخدين وعلى اتم

الصحة والعافية حتى يصبح من شدة الوهم مريضاً بالفعل بل لقد يكفي القول للانسان احياناً انك ستموت حتى يكون سبباً لقتله والاجهاز على حياته وهذا ما يتأتى ايضاً من استشعار يتولى الانسان فتحدثه نفسه لسبب من الاسباب انه سيموت في ذاك اليوم وفي تلك الساعة ويكون الخوف محققاً ذلك الاستشعار ولا سيما اذا كان الانسان مصاباً بمرض او علة سابقة اذ يحدث ان الوهم السائد على فكره يمثل له في الحلم قريباً او صديقاً متوفى آتياً ينذره بموته ويحدد الساعة التي تفيض فيها روحه كما حدث لامرأة تدعى ترابيلا بارن فانها رأت في الحلم اختها المتوفاة تنذرها بالموت بعد خمس سنوات وقد كان كما انذرتها ويقرب من ذلك الخبر الاتي وهو ان السيدة نوريس ظهرت في الحلم ثاني يوم وفاتها للسيدة كورلتون صديقتها الحميمة فاخبرتها انها ستعود فتراها قبل موتها باربع وعشرين ساعة ولما عادت فظهرت لها اربعين سنة بعد ذلك توفيت صديقتها في اليوم التالي كما كانت سبقت فاخبرتها

وفي التاريخ روايات جمة عن اشباه ذلك منها ان بريتوس الذي كان يجاهد في سبيل الحرية رأى في نومه شبحاً غريباً يقول له انك ستراني في ميدان فيليب ثم اختفى ولم يره الا قبل الموقعة التي قتل فيها

وقد ذكر نابوليون في كتاب مذكراته الذي جمعه في جزيرة القديسة هيلانه ان لاسال وشرفوني وهما قائدان عظيمان قد تنبأا عن موتهما

وبعض الناس يتفاءلون بموت عاجل اذا شهدوا في الحلم مشهد دفنهم وفي بعض العائلات تظهر على اعضائها نساء بلباس ابيض ينذرن كل واحد منهم عن دنو اجله

وقد قص المارشال سوبيز على الملك لويس الرابع عشر انه بينا كان